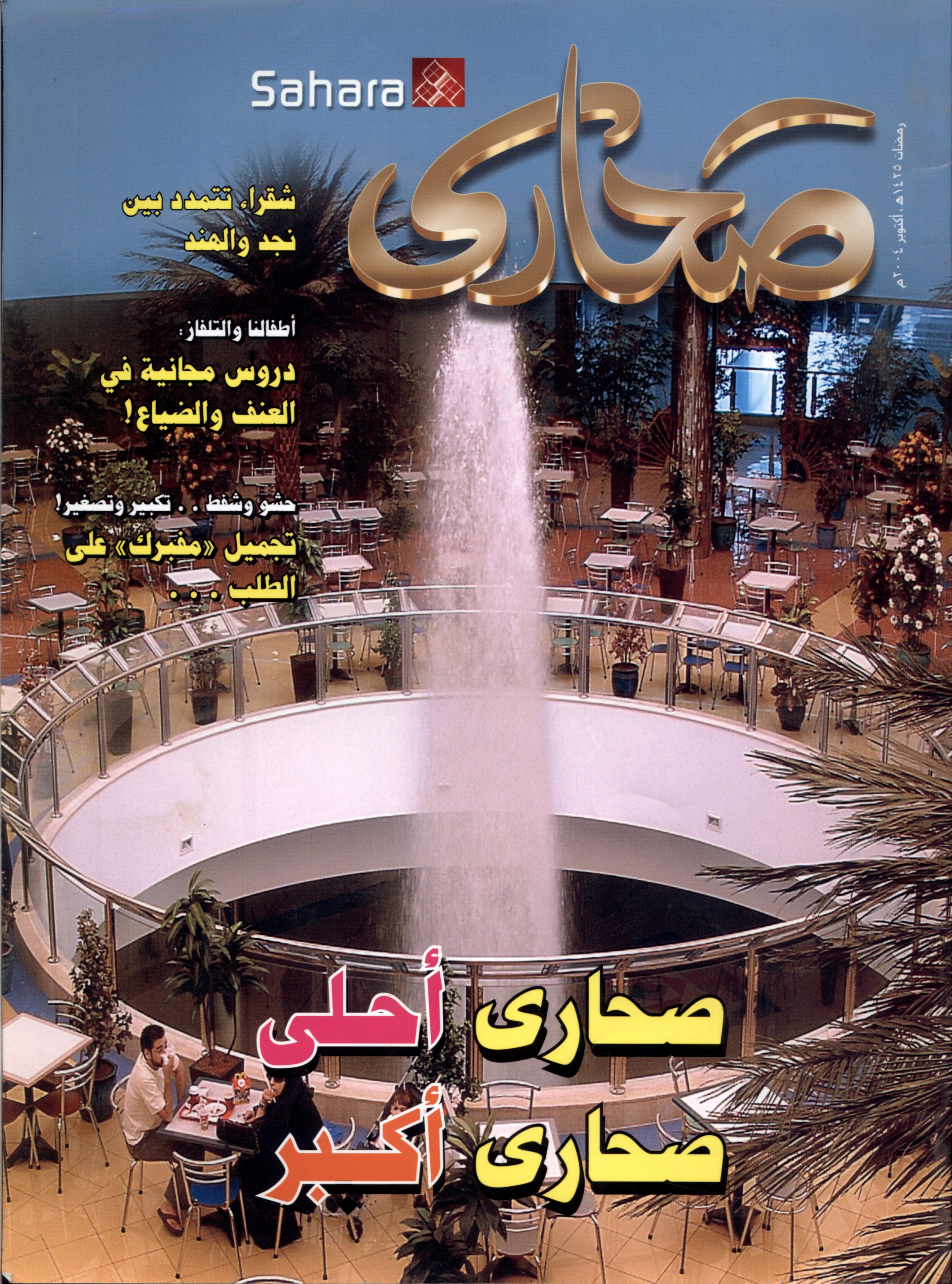
Sahara
صحارى
رمضان ١٤٢٥هـ، أكتوبر ٢٠٠٤م
شقراء تتمدد بين نجد والهند
أطفالنا والتلفاز:
دروس مجانية في العنف والضياع!
حشو وشفط .. تكبير وتصغير!
تجميل «مفبرك» على الطلب ...
صحارى أحلى
صحارى أكبر

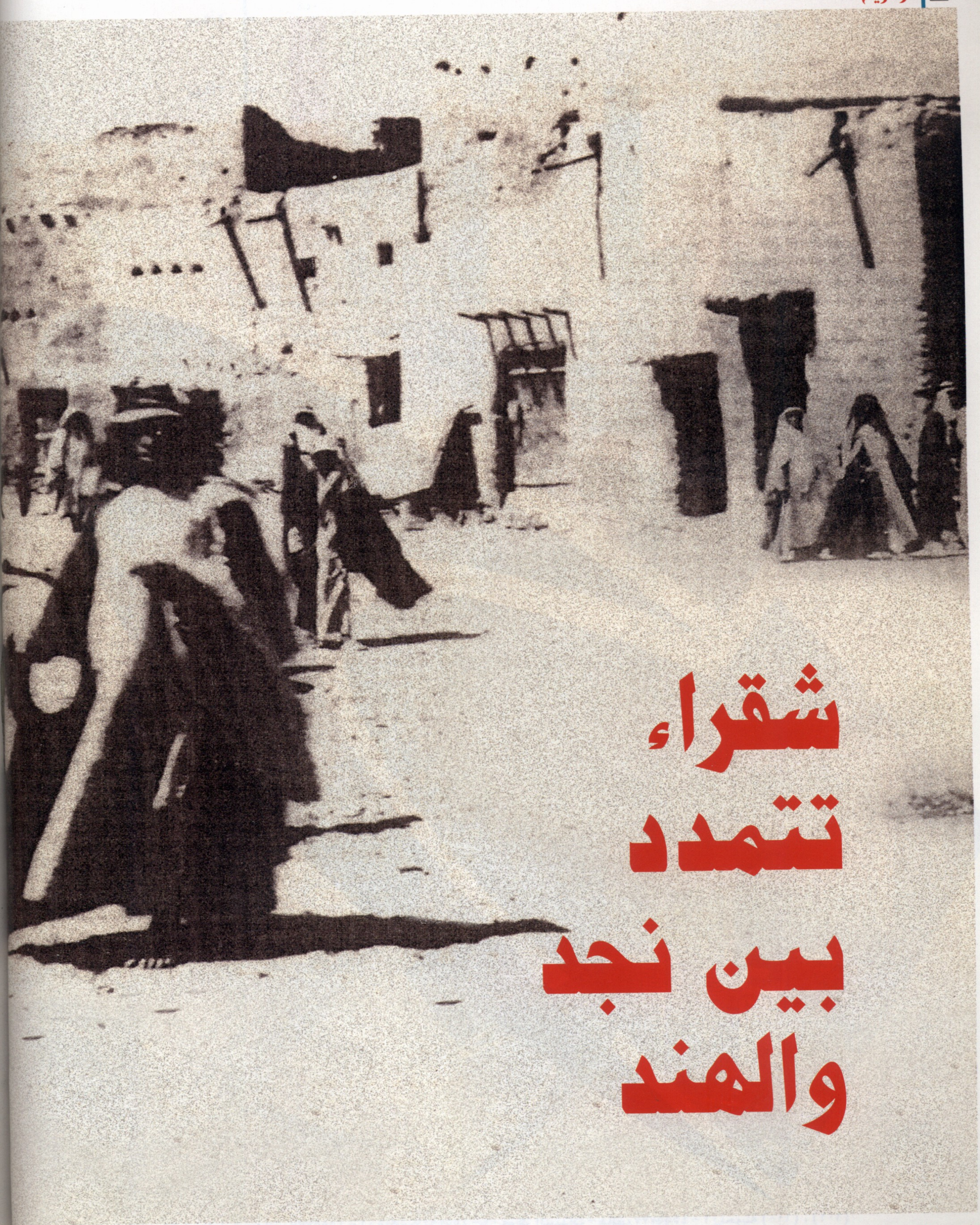

شقراء تتمدد بين نجد والهند

اهتم عدد من الباحثين بدراسة الأسواق التاريخية في كثير من حواضر العالم العربي، والأسواق التجارية النجدية لم تكن بمعزل عن التعاملات التجارية مع الأسواق العريقة في العراق ومصر والشام وغيرها. الباحث عبدالرحمن بن عبدالله الشقير يمم شطر شقراء وسوقها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين بعد أن تحدث من قبل عن سوق حَجْر اليمامة.

تعد دراسة هذه الأسواق وإلقاء الضوء على معالمها جزءًا متممًا لدراسة الجوانب الحضارية في التراث العربي. ونظرًا لطبيعة التكوين الجغرافي لبلدان نجد، فقد استحال أن يكون لها سوق جامعة. لذلك نجد أن لكل بلد أو مدينة في نجد سوقًا تجاريًا يلبي احتياجات السكان، ومصدر رزق للباعة، وهذه الأسواق عادة ما تكون ذات طابع معماري مألوف يتكون من ساحة مكشوفة وعدد من الدكاكين الصغيرة الملتصقة، أو المجاورة للجامع، ويجد الناس فيها جميع احتياجاتهم اليومية. ولكن برز من أسواق نجد عامة عدد قليل من الأسواق التي أخذت شهرة داخل نجد وخارجها، بل إن بعضها وصلت شهرته إلى حد التبادل التجاري مع بلدان الخليج، ومصر والشام والهند. ووصلت الصفقات التجارية الكمية والنوعية إلى مستويات مرموقة يصح أن تكون ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل. ولعل من أبرز الأسواق النجدية التي فاقت شهرتها الجزيرة العربية أسواق بريدة، وعنيزة، والزلفي، والشعراء، وشقراء.

تقع مدينة شقراء في الجهة الغربية الشمالية لمدينة الرياض، وتبعد عنها ١٨٥ كيلاً، وهي قاعدة الوشم وحاضرة النشاط الإداري والتجاري فيها. وتعد شقراء نقطة توقف رئيسة على طريق الحجاز القديم (الرياض - الطائف) قبل افتتاح الطريق السريع، وتعد أكبر مدن الوشم من حيث التجمع السكاني.

سوق شقراء

الحديث عن سوق شقراء القديمة جانب من جوانب الحديث عن تاريخ شقراء باعتبار أن غالبية السكان يشتغلون بالتجارة ويجوبون داخل الجزيرة وخارجها في طلب الرزق. وقد اشتهروا بذلك وحققوا في هذا المجال سمعة عالية، وأول من أشار إلى اشتغال أهالي شقراء بالتجارة، ووصف سوقها لوريمر، حيث ذكر أن معظم أهالي شقراء يعملون بالتجارة، وأنهم يتاجرون مع الكويت بصفة رئيسة. وذكر أيضًا أن سوق شقراء كبيرة، وفيها متاجر كثيرة. ويشير حافظ وهبة إلى أنه كان لشقراء في القرن الثالث عشر الهجري مكانة تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق، ويقول: «ولا يزال أهلها يجوبون الأقطار في سبيل التجارة».

وكان يخرج من سوق شقراء قوافل الإبل المحملة بالبضائع التي قد يصل عددها إلى خمس مئة بعير في تظاهرة تجارية كبيرة، وكانت هذه القوافل على ضخامة حجمها وأهمية ما تحويه تجوب أقطار الجزيرة العربية وخارجها في فترات سياسية وأمنية مضطربة. لذلك فإنها تتعرض للمخاطر وغارات قطاع الطرق.

وترصد عدد من الوثائق البريطانية أوضاع القوافل التجارية التي تتردد بين شقراء والكويت. ففي تقرير دوري سياسي عن الكويت للفترة التي تمتد من ٢٥ مارس إلى ٣١ مارس ١٩٠٩ أعده بيرسي كوكس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج، أفاد بخبر وصول قافلة قادمة من شقراء والزلفي، بالرغم من صعوبة الوضع الاقتصادي في نجد وقلة الطعام في تلك الفترة. ولم تنقطع قوافل شقراء التجارية المتجهة إلى الكويت في مختلف الظروف. لذلك نجد أن بعض هذه القوافل تتأثر بالأحداث السياسية المضطربة قبل توحيد المملكة العربية السعودية تأثرًا مباشرًا. ومع هذه الاضطرابات فإن تجارة شقراء الخارجية تتم بمبالغ كبيرة، وهذا ما يضاعف المسؤولية الأمنية. ففي رسالة موقعة بتاريخ ١٩١٥/٦/٢٩ من وليم جورج جراي، الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، يبين فيها أن مجموعة من قبيلة شمّر أغارت على الكويت، واستولت على أربع مئة بعير تخص أهالي شقراء. ويفيد أنه على الرغم من تدخل الشيخ مبارك الصباح في الموضوع ومطالبته ابن رشيد بردّ الإبل المنهوبة، فإن ابن رشيد رفض التعاون معه في هذا المجال.

أسواق شقراء

كان يوجد في شقراء أربعة أسواق رئيسة كما يلي:

- **سوق المجلس:** ويسمى الماقفة يقع في وسط البلد القديم، قرب الجامع، وهو أقدم الأسواق وأكبرها. وربما يكون هو السوق الذي وصفه لوريمر، ويتكون من ساحة مكشوفة وقرابة ٩٠ دكانًا. وهو سوق رجالي، يمنع دخول النساء فيه. ولذلك فإنه يوجد غربي

* اشتغل أهل شقراء بالتجارة وجابوا الجزيرة العربية وخارجها في طلب الرزق

* كان كبار تجار شقراء يتولون تصريف بضائعهم بالجملة من بيوتهم مباشرة

* كان لكبار التجار وكلاء في الأحساء والدوادمي والشعراء وغيرها

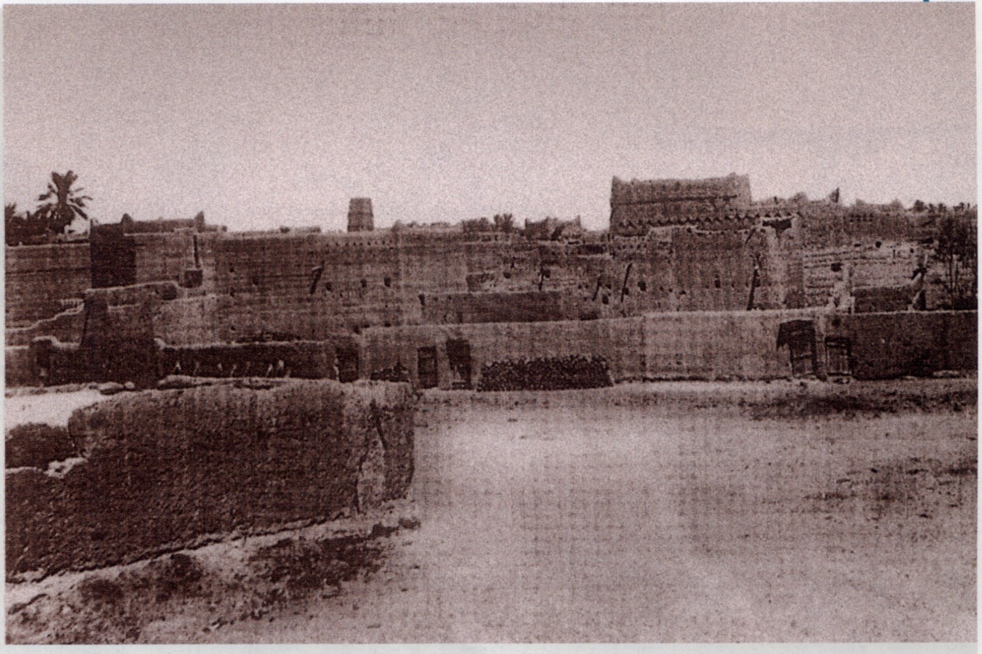

السوق سكة ضيقة لا يزيد بعض أجزائها على متر، يبدأ قبل مدخل السوق بنحو ١٠ أمتار، ومخرجه بعد السوق من الجهة الشمالية. وهي مخصصة للنساء لتجنيبهن دخول السوق، وتسمى هذه السكة المدينة، وبعض أجزائه لا تزال قائمة.

وكان يباع في الساحة الحطب والعلف، والإبل، والأغنام، وأشباهها وكانت تنوخ الإبل في ساحة السوق.

ويباع في الدكاكين بضاعة التجزئة بالصاع والوزنة والذراع. وكانت تباع فيه الأقمشة وكذلك المواد الغذائية.

وأشهر تجار هذا السوق في منتصف القرن الرابع عشر الهجري عبدالعزيز أبو عباة، كاتب الوثائق المعروف، وإبراهيم بن سويلم البواردي، وعلي بن صويلح، والشيخ عبدالرحمن الحصين.

❖ **سوق المجباب:** يتكون من ساحة ودكاكين، مساحته صغيرة يقع جنوب غرب سوق المجلس، فيه نحو ١٠ دكاكين وهو سوق مختلط بين النساء والرجال، وفيه حركة نشاط كبيرة، ويباع فيه الفواكه والأغذية والمنتجات الخوصية والكماليات.

وما يدل على نشاطه أن أحد القضاة زار الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي، القاضي الفاضل الفكه نحو سنة ١٣٦٥هـ، وأخذ يتجول به في السوق، ولاحظ القاضي نشاط السوق وكثرة الحركة فيه، وعندما أبدى استغرابه، قال له الشيخ البواردي ما سمعت ماذا يقول فيه الشاعر القديم، فارتجل من قريحته هذين البيتين:

إنما المجباب كالهند لنا
كلما رمنا به شيئًا حصل
نجد الرمان والقثا به
مع بيض ودجاج وبصل

❖ **سوق القطعة:** وهو مخصص للحوم ومشتقاتها، ويقع بين السوقين الأولين باتجاه الجنوب، فيه ساحة ودكاكين، وبقربه بئر واسعة تعد مجمعًا للسيل، وهي مكان رمي مخلفات الذبائح مثل: الدم والفرث. بها ٦ دكاكين، وفيه جانب (عرض ٦ أمتار في طول ٨ أمتار) مسقوف فيه معاليق للجزارين.

❖ **سوق حليوة:** اشتق اسمه من بستان مجاور له اسمه حلوة. وهو سوق جملة، انتقل إليه سوق المجلس سنة ١٣٧٠هـ تقريبًا لبيع التجزئة، ثم هدم سوق المجلس مؤخرًا من قبل البلدية.

كانت تأتي الإبل وتنوخ في سوق حليوة، ثم تدخل بضائعها في دكاكين مجاورة، ثم

سوق شقراء في كتابات الرحالة

❖ **الكابتن ج.فورستر سادلير:**

له كتاب «رحلة عبر الجزيرة العربية» ألفه سنة ١٨١٩ أشار فيه إلى سوق شقراء، يقول: «موقع شقراء منخفض جدًا، ويبدو أن أسوارها قوية جدًا، فقد صمدت ثمانية أيام في مواجهة قوات الباشا، وقد دمرت الأسوار وبقيت البلدة قائمة. فيها مسجد جيد وسوق، ومزروعات النخيل التي تحيط بها واسعة جدًا».

❖ **لوريمر (توفي سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م):**

أعد لوريمر تقارير عن مدن الخليج والجزيرة العربية في كتاب كبير طبع باسم «دليل الخليج» ذكر عن تجار شقراء ما يلي: «إلى جانب الزراعة يعملون بالتجارة، ويتاجرون مع الكويت بصفة رئيسة، والسوق كبيرة، وفيها متاجر كثيرة، ويوجد حوالي ٥٠٠ جمل، وكثير من الماشية ذات القرون، إلى جانب الأغنام والماعز، ولكن الخيل والحمير قليلة».

❖ **فيلبي (توفي سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م):**

زار شقراء سنة ١٣٣٦هـ، ودوّن مشاهداته في كتابه (Arabia of The Wahhabis)، قال عن سوق شقراء: «...وتصنف شقراء بعد عنيزة وبريدة من ناحية الأهمية التجارية، حيث إن لها علاقات مباشرة مع بلدان ساحل الخليج، وحوالي ست من القرى الأخرى... تحدثنا كثيرًا مع (محمد بن سعود العيسى) عن التجارة في شقراء.

وقد عبرت عن دهشتي من أن القوافل المحملة بالبضائع الذاهبة من الكويت إلى الرياض يجب أن تقطع هذه المسافة الطويلة عبر شقراء. وقد أوضح لي أن ذلك كان في أوقات ما قبل الحرب فقط عندما كان الطريق الطبيعي للتجارة من البحرين عبر الأحساء إلى الرياض غير آمن بسبب احتلال الأتراك للمنطقة الشرقية. ولذلك فضل التجار اقتحام الصحراء من

تباع بالجملة، ثم أصبح السوق الرئيس للجملة والتجزئة، ويكون للتاجر عدة دكاكين، واحد للتجزئة والأخرى مستودعات.

أنواع التجارة

عرفت شقراء جميع أنواع التجارة المتداولة في نجد في القرنين الماضيين مثل تجارة المواد الغذائية والاستهلاكية، والمواشي وكذلك الصرافة وتجارة الرقيق.

تجارة المواشي وكان من أشهر تجار الغنم: محمد الخريجي وأولاده، وعبدالعزيز بن عبدالله الهزاني الملقب سنيد، ومن أشهر تجار الإبل: صالح بن شريم، والهويش، وصالح بن موسى، وعبدالرحمن بن راشد الهزاني. ومن أشهر تجار الخيل قديمًا: عبدالرحمن بن منيع التاجر المعروف في الهند، وإبراهيم بن أحمد وكان لهم تجارة مع الهند. المواد الغذائية والملابس وما يتبعها فمن أشهر تجارها الجميح، والعيسى، والبواردي. وكان السبتي، والشهيب، والسدحان، والمقرن (المريعان) والبابطين من أشهر الجماميل.

وفي تجارة الصرافة وأشتهر عبدالله بن إبراهيم بن سدحان وإخوانه.

❖❖❖

كان خط سير رحلات القوافل التجارية الداخلية يتم بين شقراء وبين كل من: الأحساء، والجبيل، وبيشة، والقويعية، والرياض، والقصيم وغيرها. حيث يصدرون إلى هذه المدن ما يستوردونه من الخارج.

أما خط سير رحلات القوافل الخارجية: فكانت باتجاه الكويت، والعراق، ومصر، وسوريا وكذلك الهند.

وينقل الرواة عن عبدالرحمن بن محمد بن مهنا (ابن حريشان) أنه عمل في فلسطين ومصر والعراق، وأقام في حيفا مدة أربع سنوات يعمل في تجارة الإبل.

الكويت، وأصبحت شقراء مركز توزيع مهم للجنوب. وكان لتجارها الكبار وكلاء في كل أنحاء البلد في الأحساء وفي الدوادمي وفي الشعراء، وفي أماكن أخرى... والسكان يقدرون بين ٧٠٠٠ نسمة و٨٠٠٠ نسمة. منهم المزارعون ومنهم الأمراء، والتجار، والتجار الصغار. هؤلاء التجار تتشكل تجارتهم من البيع بالتجزئة للبدو ومستهلكين آخرين في سوق صغير على شكل مثلث يقع في وسط المدينة، ويحتوي على ٤٠ إلى ٥٠ محلاً مظللة وملتصقة بالمسجد».

❖ مراجع المقالة: كتاب شقراء للدكتور محمد الشويعر. وكتاب «بنو زيد: القبيلة القضاعية في حاضرة نجد» لعبدالرحمن الشقير. رواية شفهية مع عبدالرحمن بن محمد السدحان.

نموذج من تبادل المعلومات التجارية وأسعار السلع بين تجار شقراء

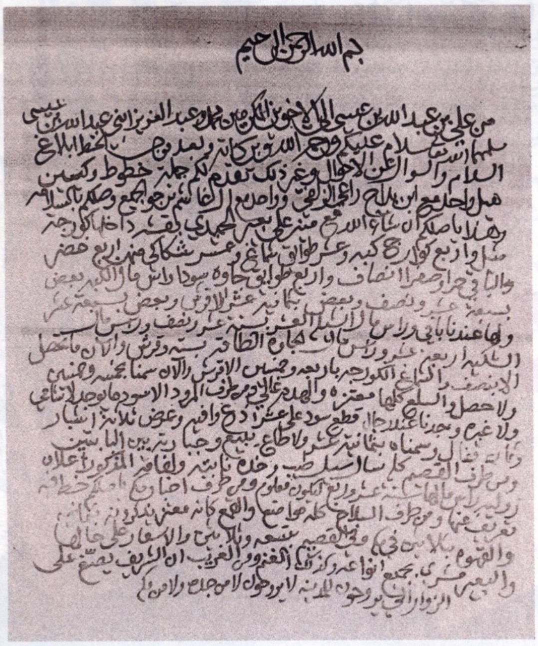
بسم الله الرحمن الرحيم

«من علي بن عبدالله بن عيسى إلى الأخوين المكرمين محمد وعبدالعزيز ابني عبدالله بن عيسى. سلمهما الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. موجب الخط إبلاغ السلام والسؤال عن الأحوال. وغير ذلك تقدم لكم جملة خطوط، وكيسين هيل، واحد مع ابن بداح، راعي الزلفي، وواحد مع آل غاشم. يرجو الجميع وصلكم بالسلامة. وهذا ياصلكم إن شاء الله مع منير على بعير الحميدي بقشة داخلها كورجة مثل، وأربع كوارج كبه وعشر طوايق شماغ وعشر شكاكي منهن أربع خضر، والباقي حمرا أو صفرا أنصاف، وأربع طوايق جاوة سودا.

رأس مال الكبه، بعض بسبعة عشر ونصف، وبعض بثمانية عشر إلا قرش، وبعض بسبعة عشر ولها عندنا باقي ورأس مال الشيله العشر بستة عشر ونصف، ورأس مال الشكية أربعة عشر، ورأس مال الجاوة الطاقة بستة وقرش والآن ما تحصل إلا بنصف. والشماغ: الكورجة بأربعة وخمسين إلا قرش، والآن سمنا بخمسة وخمسين ولا حصل، والسلع كها معتزة والهدم غالي، ومن طرف المرود الأسود ما يوجد، لا شامي ولا غيره، وجدنا عند رجال قطع سود على عشر أذرع وافيه. وعرض ثلاثة أشبار وثمان قفال، وسمناه بثمانية عشر ولا طاع يبيع، وجبارته بين البابتين. ومن طرف القصيم كله سال سيل طيب، وخده نابته، ولفافة المذكور أعلاه زولية رأس مالها ستة عشر وربع ليكون معلوم. ومن طرف أخبار مكة يا صلكم خط فيه تعريف عنها. ومن طرف السلاح كله مواضع والقمع كأنه معتز يذكرونه بثمانية، والقهوة بثلاثين في مكة، وفي القصيم بتسعة وثلاثين والأسعار على حالها، والبعير مشري بجميع أنواعه، وكذلك الغنم، ومن الغريب أن الشريف يصعّ على الزوار اللي يروحون للمدينة لا يروحون لا من جدة ولا من مكة».